اصلاح اللغة

بقلم الكاتب الاديب بيث الخضري

قد مُنيت اللغة العربية في هذا العصر بداءين عُضالين وهما: « الفساد والنقص » على حدّ ما صرّح به احد مراسلي المشرق الزاهر (٣: ٥٨٥). فالفساد لانتشار اللغة العامية واستفحال امرها واستشراء شرّها. والنقص لما ثار بوجه اللغة من المستحدثات العصريّة ممّا لم يكن للعرب به عهد ولا عنّ لهم به فكر. وهذان الداءان بمنزلة عاملين دائبين في تشويه محاسن اللغة العربية الفصيحة. ومن ثمّ في استدارجها الى الرطانة والطُّمطمانيّة ان لم نقُل الى إماتتها. وانت عليم وخبير بان كل سببٍ متاف ان لم يُتدارك باستئصال شأفته منذ ابتدائه بالفتك فلا ينجع فيه بعد ذلك دواء ولا حيلة. ولقد رأينا والحمد لله من كتّاب العربيّة المعاصرين نفرًا (لا اكثر) جرّدوا لقطع دابر هذه العلّة أقلامًا تكاد تكون سهامًا صوّبوها الى مقرّ هذا الداء فاصابت جهةً منهُ وأطارت « شيئًا » من جراثيمه الى حيث ألقت رحلها امُّ قشعم. وقلنا: « شيئًا » لان ما مُحق من تلك الجراثيم ليس الّا القليل. وقد بقي الكثير منها على حالهِ وغرّهِ

ولعلك تسألني: ولِمَ لم تكن الرمية مُصيبةً؟ قلنا: الاسباب كثيرة. منها: ١ ان تلك الرمية لم تُصِب الّا بعض الداء. كما ألمعنا اليه فنعلتّ على ما اصابت. اي: ان اولئك الادباء فوّقوا سهام أقلامهم الى وضع بعض الفاظ عربية لبعض محدثات عصريّة فقامت مقامها وسدّت مسدّها ولم يبقَ للدخيل الى مرجعهِ سبيل. امّا القواعد الاصلية لوضع الفاظ جديدة فلم يتعرّضوا لها. ولهذا لم يكن فعلهم عظيم النتيجة. ٢ ان الكتبة المحدثين من العرب ليسوا يدًا واحدة على استئصال شأفة هذا الداء. فانك تراهم منقسمين الى ثلاثة أحزاب: حزبان كبيران وحزبٌ صغير. فالحزبان الكبيران هما: حزب العربية الصميمة. وهم الذين يريدون وضع الفاظ عربية فصيحة من نفس اللغة « لجميع الألفاظ الاعجميّة والعاميّة ». بحيث انهم لا يُحبون ان يروا في لغتهم كلمة دخيلة او كلمة عامية. واغلب هذا الحزب هم من الذين يجهلون لغةً من اللغات الاعجميّة وبالاخص الافرنجيّة منها. ولهذا لا يمكنهم ان يقفوا على ما هنالك من الالفاظ الجديدة المباني الدقيقة المعاني التي من دون تعريبها خرط القتاد

ثمَّ ان هذه الالفاظ المستحدثة هي في ازدياد دائم ونموّ فاحش تأتي بهِ كل يوم المستنبطات الجديدة من علمية وصناعيَّة التي هي من نتاج عقل الانسان الذي من شأنهِ الامتداد والاتساع والاكتشاف والاختراع الى ما لا موقف يقف عندهُ لروحانية جوهرهِ الى ان تقوم الساعة. وعليهِ فوضع الفاظ عربية لجميع هذه المخترعات والمبتدعات لهو من رابع المستحيلات. ولا جرم ان هذا الكلام لا يروق أصحاب هذا الحزب. لكن الحقّ هو الحقّ لا تنالهُ يد المحق وإن خُيِّل الى البعض الخلاف. واننا لنتأكّدون ان اصحاب هذا المذهب يقلّون على تراخي الزمان لانهم لو علموا ان العربيَّة كثيرة الالفاظ الاعجميَّة حتى في زمن الجاهليَّة لنكصوا على أعقابهم مُحرَقين. ولتأكّدوا انهم يتأثرون امرًا هو من عالم الخيال اكثر من ان يكون من عالم الوجود

امَّا الحزب الثاني فهو حزب العربية المستعجمة وهم الذين يريدون ان يُدخلوا في اللغة العربية كل ما يرونهُ من الالفاظ الاعجميَّة مما يُخرجها عن وضعها الاصلي ومزيَّتها الحسنى. وأصحاب هذا الرأي هم المتفرنجون والعارفون باللغات الاجنبيَّة معرفةً تفوق معرفتهم لاصول العربية وقواعدها واحكامها وسُنن وشروط إدخال المعرَّبات فيها. لان من هذه المستحدثات ما هو حديث الوضع لا حديث الوجود. وعليهِ فلا يعسر وجود ما يقابلها بالعربية. وقد جمعنا من ذلك شيئًا كثيرًا مما هو مدوَّن في الكتب العربيَّة من لغويَّة وعلمية ومجهول من كتبة هذا اليوم. من نحو اسماء نباتات وحيواناتٍ ومعادن وألعاب وبعض أمور طبيعيَّة

ومن هذه المستحدثات ما هو تحسين الامور الفطريَّة التي وُجدت عند الأعراب في بداوتهم وعند العرب حين تبسُّطهم في الحضارة والعمران مما سلكوا في وضعهِ مسالك الاعراب والعرب الاقدمين. ومن ذلك ما يتعلَّق بالسكن والاكل والشرب والفرش والركب الخ. ومثل هذا الوضع لا يغيّر اللفظ الاصلي بل يفيدنا معنًى مُحسَّنًا او مصلحًا لا معنًى جديدًا

ومن هذه المستحدثات ما هو ناتج عن نقل اعمال الانسان الى أعمال تتممها الالآت. وهذا مما يمكن وضع الفاظ جديدة لهُ من نفس اللغة العربية جريًا على سُنن منها بيّنة في كتب اللغة العربية مما قد اوضحهُ الاصوليون على اختلاف طبقاتهم ومنها خفية في سرّ تنوُّع الألفاظ واشتقاقها ووضعها ونموّها مع الزمان مما يمكن ان يتوفّق

الى كشفهِ اصحاب النظر الدقيق في هذا الباب. وعليهِ فاتباع فريق المستعجمين ممن يريدون ادخال لغة الاجانب في لغة تختلف عنها من جميع الوجوه هو من قبيل الضرب في حديدٍ بارد. لانهم لا يستطيعون ان يجرُّوا وراءهم جميع ابناء العرب بل فقط اولئك الذين هم على شاكلتهم لا غير. ويبقى الفريق الاعظم واقفاً في موقفهِ الاول مستغربًا هذا الانقلاب باقيًا على لغتهِ الاولى بينما يكون اصحاب الرأي المخالف لهم في لغة جديدةٍ وقد جروا إطلاقاً فيها

ومن هذه المستحدثات ما هو حديث من جميع وجوههِ مما لا سبيل الى ايجاد مثلهِ في العربية بدون ان يُمسَّ جوهرهُ الاعجميّ في نقلهِ ومتى ما تغيَّر الجوهر (لا العرض) تغيَّرت الذات واذا تغيَّرت الذات فاتت الغاية من تلك الكلمات. ولهذا فمن الواجب ان تُوخَذ بصوف رقبتها وتدخل طوعًا او كرهًا في العربية وان عَرَبَد المخالفون

ومن هذه المستحدثات ما ولد ونشأ عند العامَّة من ابناء العرب من الفاظٍ وتراكيب وصيغ وإبدال وقلب وتقديم وتأخير وزيادة وحذف تُظَن كلّها جديدة احدثتها العامة وهي بالحقيقة راجعة الى لغات قديمة معروفة عند العرب مما كان « يجوز عندهم استعمالهُ » لكنهم تركوهُ تمسُّكًا باللغة الفصحى تمسُّكهم بالعروة الوثقى

ومن هذه المستحدثات ما لا ذكر لها في المعاجم اللغوية المستعملة بين الناس لكنها موجودة في كتب العرب الذين تقدَّمونا ممَّن يوثَق بهم. وقد وقع عليهم ادباء هذا القرن وقوعهم على كنزٍ ثمين فاخذوا يستعملونها في كتاباتهم فظنَّ البعض انَّها من سقط اللغة العامية وانَّهُ لا يجوز استعمالها. كما توهَّمهُ صاحب الضياء. فرُدَّ عليهِ الادباء احسن ردّ. مع ان الادباء لم يتعرَّضوا الَّا الى بعض ما جاء بهِ من الاوهام ولعلَّنا نعود الى هذا الموضوع لما يترتب عليهِ من الفوائد اللغوية الجمَّة ولما يُوسع المجال لابناء هذه اللغة الشريفة

امَّا الحزب الصغير فهو الحزب الثالث ممَّن يذهبون الى الجمع بين المقبول من هذين الرأيين. واقفين في وسط هذين الطرفين وهم في اثناء ذلك يدخلون في العربية الضروري من تلك الاعجميات مما يستحيل وجودهُ عندهم او مما قد أُدخل مثلهُ في لغتهم على ايدي كبار العلماء او الكتبة المعرّبين ممَّن تقدَّمونا. وهذا الحزب وان كان اصحابهُ يُعدُّون على الاصابع الآن فسوف يكون هو الغالب السائد مع الزمان

وكلٌّ من هـذه الابواب المتفرّعة التي ذكرناها بخصوص أنواع المستحدثات تطلب مقالاتٍ خصوصية ان لم نقُل كتباً قائمة برأسها لتأييد الكل بالبراهـين السديدة. واقامة الدعائم على أُسس وطيدة. ولعلّنا نذكر شيئاً من ذلك ان سنحت لنا الفُرص

اما الان والغاية من هـذه العجالة الاجابة عن اقتراح المراسل فنقول: اما لفظتا « آنـة » للمدموازيل و « عقيلة » لمدام فلا نرى رأيهُ في وجوب نبذهما واتخاذ اللفظتين الافرنجيتين عوضهما. لانهُ: « لا داعي الى ذلك » ولا يوجد « اسباب كافية » لتمنع دخول هاتين اللفظتين في العربية بهذا المعنى. امّا قول المراسل: « وكل خبير يعلم ما بين الاصل وهاتين الكلمتين من الفرق الجسيم فهما لا تؤديان اصلاً معنى مدموازيل ومدام فضلاً عن صعوبة استعمالهما في التخاطب »

قلنا: هذا كلام لا يصحّ تطبيقهُ على هذين الحرفين. وقولهُ: بينهما « فرقٌ جسيم » قولٌ لا نفهم معناهُ. فان اراد بهذا الفرق الجسيم المقابلة بين أحرف الكلمتين الافرنجيّتين وبين احرف الكلمتين العربيتين: فالفرق بينهما جسيم. لكن اذا اردنا ان ننظر هـذا النظر الى الألفاظ فحينئذٍ لا مُوجب لاستعمال الكلم العربية باجمعهـا لان حروفها لا تقابلها الحروف الافرنجية. واذا أراد بهذا الفرق الجسيم الفرق بين الاشتقاق فلا جرم ان الفرق جسيم ايضاً لان اشتقاق الكلمة الافرنجية من وادٍ واشتقاق الكلمة العربية من وادٍ. وهو ما يصحّ قولهُ عن جميع الالفاظ في اللغتين. وان كان مرادهُ من هـذا الفرق الجسيم ان مؤدّى معنى « مَدام » مثلاً غير مؤدى معنى عقيلة. قلنا: لا شك في ان هذا الفرق هو جسيم ايضاً. وما هذا ناتج الّا من استعمال اللفظة الافرنجيّة وتصوُّر المدلول عليها اكثر من استعمال اللفظة العربيّة من هذا القبيل. وعليهِ فلو شاع هـذا الاستعمال بالعربية لحضر في الخيال نفس تلك الصورة المتولّدة من اللفظة الافرنجية

وان اراد بذلك الفرق الجسيم الرقّة بين اللفظتين فلا بدع في ذلك لانّ لفظة « مَدام » ارقّ من لفظة « عقيلة » لما في تلك من حروف الذلاقة السلسة السهلة في التلفُّظ وما في هذه من الحروف الحلقية الثقيلة على اللفظ والسمع. لكن مثل هذا العمل يقضي بنا الى اتخاذ جميع الالفاظ الافرنجية السلسة ونبذ ما يقابلها بالعربية لكون كلم هذه اللغة ليست بسلاسة الحروف الافرنجية لخلوّها من اللفظ الحلقي. وفي هذا الرأي من التعليل ما لا يقبلهُ انسان

وان اراد بهذا الفرق الجسيم ان العقيلة مثلاً ليست تعريب لفظة « مدام » قلنا: وهل نحن ملزومون بالتعريب الحرفيّ في جميع المواطن أو ليس في العربية من الاسماء ما هي مرتجلة ومنها ما هي مأخوذة من المشابهة او المجاز . فالمدام مثلاً هي من هذه الاسماء المرتجلة في العربية . هذا وان اراد ان يستعمل معرب لفظة « مدام » لا مانع لذلك لانها من اصل لاتيني وهو mea domina ومعناها سيدتي . ثم خص الافرنج هذا اللقب بالمرأة المزوّجة عند مخاطبتها تأدُّبًا . واما مادموازيل فهي تصغير سيدتي ويقابلها بالعربية سُوَيدتي . ثم قيدوها بلقب الابنة قبل الزواج وهو مما لا يناقشهم احدٌ على هذا الوضع او الاصطلاح او التقييد اذ الغاية من ذلك كله حضور المعنى الذهن ساعة التكلم فاذا تحقق ذلك في لفظتي الآنسة والعقيلة حصل المراد ولم يبقَ ثمَّ « فرق جسيم » . وان كان الفرق الجسيم الذي تكلّم عنهُ هو على غير ما بيّناهُ فليتفضّل علينا بالتصريح به لنرى وجه المغمز من هاتين اللفظتين

واما قولهُ : « فضلًا عن صعوبة استعمالها في التخاطب » قلنا : ان كان يريد بذلك ان العقيلة او الآنسة مما يصعب ادخالها في الخاطبة فلا يُقال مثلًا : « نعم يا عقيلتي او يا آنستي » كما تقول : « نعم يا مَدام او نعم يا مادموازيل » . قلنا : وهذا ايضًا لا يمنع دخول هاتين الكلمتين الجديدتين ولا ما هو من مثلهما . لان الغالب اليوم في لغة المخاطبة هي اللغة العاميَّة ولا يحق لهذه اللغة ان تقوم بيننا بمنزلة الحكم في هذا الموضوع لاننا لو سألنا اليها زمام الحكم والقضاء في هذا البحث لحتمت على اللغة الفصيحة بالموت والانقراض بتّةً . ولو رجع المراسل الى إعادة قراءة ما كتب لوجد أغلب الالفاظ التي استعملها في تلك النبذة غير مستعملة في المخاطبة . وعليه فاستعمالهُ اياها في الكتابة لم يكن جائزًا لهُ . وهو مردود من جميع الوجوه . وهو الاوّل في نبذ هذه النتيجة

والخلاصة مما تقدَّم ان استعمال الآنسة والعقيلة بدلًا من مادموازيل ومَدام مما يجب ان يحافظ عليهما وعلى استعمالها

١ واما معنى هذه الجملة : Bossuet est un homme de génie فهو : « انَّ بوسوه لذو مبتكرات » وهو محصّل معنى العبارة الافرنسية وليس بالتعريب الحرفيّ . ومثلها : « انَّهُ لداهيةٌ دهياء » وغير ذلك من العبارات الكثيرة في العربية مما يطول ذكرهُ

٢ واما كاراف او كراف caralè فانها من اصل عربي على ما يشهد به لغويو الافرنج فهو غراف او جراف ولهُ وجهٌ . لان معنى غرف الماء اخذهُ بيدهِ ثم توسعوا في اللفظة فاطلقوها على « قارورة » ضيقة الراس عظيمة البطن . وصيغة فعّال تؤيد هذا المعنى . اذ انهم سمّوا به مكيالًا ضخماً وهو الجراف او القنقل ايضاً . واللفظة غراف وان كان لا وجود لها بالعربية في هذا المعنى فلكون لها وجهٌ فيها جاز استعمالها على هذه الصيغة لهذه القارورة . وللعرب لفظة اخرى بهذا المعنى وهي الكُراز والكُرّاز وزان غُراب ورُمّان ومنها اللفظة الافرنجية alcarazas التي معناها بالعربية البرّادة والكُرّاز ايضاً لان لهذه اللفظة الاخيرة معنًى ثانيًا في العربية وهو « الكوز » الضيق الرأس الواسع البطن

٣ جاط . ان أُريد بهِ الصحن الكبير الذي يُدار به على الآكلين فهو القَصارة وهو عربيّ وان انكرهُ البعض لانها تتّخذ من القضار وهو الطين الحرّ الذي يُتّخذ منهُ الخزف الذي يُسمّى قضار (عن التاج) ولانهُ قد يسمّى الشيء باسم اصلهِ كالتَّبْعة للسهم والمُضغة للآدمي . وان أُريد بالجاط معنى لفظتهِ الاصليّة الافرنجيّة اي jatte فهو قصعة او جفنة

٤ كبّاية . هي لفظة عامّية مُحرّفة عن كوبَة فقالوا اولًا كوباية ثم كُبّاية كما يقول اهل العراق في جوزَة ولَوزَة ومَوزَة جَوزاية ولوزاية وموزاية . وسبب تجوّزهم في ذلك على ما اظنّ هو ان في العربية الفاظًا مثل « نَغاة ونَغاية ونَغاة ونَغاية » فنقلت العامّة هذه الصيغة الى كل لفظةٍ تُشبه نغاة وزنًا فيقولون مثلًا قَطاية في قطاة ونواية في نواة الخ . ثمّ اطلقوها على غير الناقص وعلى ما لم يكن بوزن نغاة كتمرة وتراية وموزَة ومَوازَية . ثمّ على صيغة مصدريّة معروفة عندهم فيقولون قَواية في قوّة مصدر قوي وقراية في قراءة مصدر قَرا تصحيف قرأ وحداية في حُداء مصدر حدا . وهذا النوع من الوزن مأخوذ عن قدماء العرب قال الرّاجز :

اما تريني رجلًا دعكابَهْ مَكوَّكًا اذا مشى درحايَهْ
تحسبني لا أُحسن المدايَهْ ايابه ايابه ايايه

(قالهُ التاج في مادّة درحاية)

٥ سوبيرا soupière . انا او صفحة الحا او الحاء بالقصر والمدّ . وهل من

حاجة ان نفرد دائماً كلمةً لكل كلمة مفردة افرنجيـة فان لغة الانكليز على سعتها أغلب الفاظها مركبة من كلمتين. وانما مثل هذه الكلم قليـلة في اللغة الفرنسية لان الاضافة عند اصحابهـا لا تكون الّا بواسطة حرف جرّ او اداة اخرى فتكثر حينئذٍ الكلمات للمسمّى الواحد واماً العربية فهي كالانكليزيّة واليونانيّة واللاتينيّة من هـذا القبيل. وان اصرّ المراسل على إفراد لفظةٍ واحدة فليقُل حَسَويّ او حسويّة على تقدير إناء او صحفة او نحوهما. ومثل تغليب المنسوب بدون ذكر الموصوف كثير الوجود في العربية من ذلك السمهريّ والرديني والخطّيّ والمشرفي والهندوانيّ الى آخره

٦ً واماً الطرّاحة فيصحّ ان تسمّى بالنضيدة لان النضيدة ما حُشي من المتـاع والوسادة. وعليهِ فيجوز ان نسمّي بها الطرّاحة من باب تقييد المطلق وتخصيص الشكل لانّ ذلك متوقّف على الاصطلاح « ولانّ النسبة اللغويّة تتّصل باضعف سبب » وعلى هذا المبدإ مبنيّة سعة اللغة العربية كما يتحقّقهُ كل من تصفّح كتاب متن لغةٍ

هذا واختم كلامي بقولي: ان المناظرة في هذا الموضوع تكشف كثيرًا من دقائق واسرار اللغة العربية. ولهذا فليُفتَح باب هذا الميدان. ولتجرِ الفرسان. وليبـذل كلٌّ بما في وسعهِ وعلى الله التكلان

الصابئة او المندائية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (لاحق بـابق)

٢ً طور عبادة النجوم برموز واصنام

ممّا مرَّ بك تتحقّق ان المدة التي انقضت بين الانتقال من عبادة الكواكب مباشرةً الى عبادتها بهيئة الرموز والاصنام لم تكن محدّدةً بل ربّما كانت متصـلة بالمدّة الاولى عند طائفةٍ ومنفصلة عنها ببرهةٍ من الزمان عند طائفة أخرى ومـا ذلك الّا للسبب الذي يجدهُ كل عاقل من نفسـهِ وهو السبب الذي صرّح بهِ المسعودي في كتابهِ مروج الذهب اذ قال: « فاقاموا على ذلك (اي اقاموا على عبادة الله والملائكة) برهةً من الزمان وجملةً من الاعصار حتى نبّههم بعض حكمائهم على انّ الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئيّة الى الله تعالى. وانّها حيّة ناطقة. وان الملائكة تختلف